

تهديد

كلما زاد الإنتاج الفكرى فى المجالات العلمية والمعرفية زادت الحاجة تلقائياً إلى وجود قائمة رؤوس موضوعات تواكب هذه الزيادة وتتطور معها تطوراً طردياً حتى لا تتخلف المكتبات فى تنظيمها لهذا الإنتاج الفكرى المتزايد. وما نحن فى مطلع القرن الحادى والعشرين نستقبل كل عام من الكتب ما يزيد على المليون ونصف مليون عنوان، وما يزيد على نصف مليون دورية وما يزيد على مليونين من المصغرات الفيلمية ومثلها من المواد السمعية والبصرية فضلاً عن أشكال أوعية المعلومات الأخرى من أقراص مليزرة وملفات بيانات ورسائل علمية وبراءات اختراع وتقارير فنية وعلمية تعدى الأخرى بالملايين. وما لم تقم المكتبات بتجميع هذا الكم الهائل من المعلومات وحفظه أولاً ثم القيام بتنظيمه - وهى وظائف أساسية للمكتبة - نكون قد أهدرنا الاستفادة منها وأضعنا على الأجيال التى تعابشنا فرصاً عظيمة.

لقد وصفت قوائم رؤوس الموضوعات من قبل بأنها كائن حى، ينمو ويتطور، ينضج ويكبر. وحتى لا يشيخ ويموت فهى فى حاجة دائمة إلى رعاية كاملة ومراجعة مستديمة لرؤوس الموضوعات بالحذف والإضافة والتعديل، تماماً كما يفعل البستاني فى حديقته بزراعة فسائل جديدة واستبعاد الشجيرات الجافة والميتة وتقليم وتشذيب الأغصان الشاردة فضلاً عن إمدادها بالماء والمخصبات حتى تبدو الحديقة فى أزهى صورها.

ولا شك أن قوائم رؤوس الموضوعات من الأدوات الهامة والأساسية المطلوبة لتنظيم المكتبات ومراكز المعلومات، فهى التى تمكن القارئ من الوصول إلى الموضوع أو الموضوعات التى يريدها، حيث أن معظم الاتجاهات الحديثة فى البحث تدور حول الموضوع أو إن الوحدات الموضوعية بغض النظر عن عنوان الكتاب أو اسم المؤلف. ومن هنا نشأت أهمية دراسة الأسس العامة وقواعد بناء هذه القوائم وقواعد اختيار رؤوس الموضوعات وكيفية صياغتها بشكل قياسى مقنن، كذلك التفرعات المتفرعة منها والإحالات المستخدمة معها ووضعها بشكل محكم ييسر الوصول إلى الرؤوس المستخدمة والمطلوبة، فضلاً عن قواعد

ترتيبها حتى يمكن الوصول إلى قائمة عربية قياسية لا تعتمد على الترجمة المباشرة من القوائم الأجنبية وتتناسب مع مفاهيمنا وإنتاجنا الفكرى العربى .

ومن هنا كانت أهمية وضرورة متابعة ودراسة ما يصدر من طبعات لقوائم رؤوس الموضوعات ورصد التطورات والتغييرات التى تطرأ عليها . فقد شهد العقد الأخير من القرن العشرين وبداية القرن الحادى والعشرين تطورات وأحداث سياسية كبيرة غيرت وجه خريطة العالم السياسية نتج عنها إفراز كيانات ودول مستقلة جديدة، ونشير هنا على وجه الخصوص إلى تفكك الاتحاد السوفيتى إلى عدة دول مستقلة وتغيير نظام الحكم فى أفغانستان والعراق واحتلالها من قبل الولايات المتحدة الأمريكية . وكذلك تطورت العلوم والمعارف تطوراً كبيراً وظهرت تكنولوجيات جديدة وخاصة فى مجال علوم الفضاء والحاسبات الإلكترونية وبرامجها وبرمجتها . كل هذا يحتم تعديل بعض رؤوس الموضوعات أو إعادة صياغتها أو إضافة رؤوس جديدة ومراجعة الرؤوس القديمة واستبعاد غير الصالح منها حتى تواكب التطور الهائل فى المعارف البشرية وتساير ما قد ينشأ من مفاهيم جديدة فى الإنتاج الفكرى العربى . ولكل ما سبق يصبح من الضرورى على الباحثين والقائمين على إنشاء قوائم رؤوس الموضوعات رصد ودراسة كل هذه المتغيرات وتعديل قوائمهم طبقاً لها .

لهذا عكفت خلال العقدىن الأخيرين على تحليل ومتابعة ودراسة قوائم رؤوس الموضوعات باذلا كل الجهد فى محاولة بناء قائمة رؤوس موضوعات علمية مقننة تصلح للاستخدام فى المكتبات ومراكز المعلومات على المستويات كافة :

١- على مستوى المكتبات العامة والمدرسية قمت بإعداد قائمة رؤوس موضوعات معيارية بعنوان «رؤوس الموضوعات القياسية: قائمة هجائية للمكتبات العامة والمدرسية» مزودة بأرقام تصنيف ديوى العشرى فى طبعته الثالثة عشر ويدور عدد رؤوسها حول عشرة آلاف رأس موضوع .

٢- على مستوى المكتبات القومية والجامعية والمتخصصة قمت بإعداد قائمة بعنوان «قائمة رؤوس الموضوعات العربية الكبرى»^(١) رادت رؤوس موضوعاتها على الأربعين ألف رأس موضوع .

(١) صدر من هذه القائمة طبعان (الأولى لدار المريخ والثانية للمكتبة الأكاديمية) تحت عنوان «قائمة رؤوس الموضوعات العربية الكبرى» وصدرت الطبعة الثالثة تحت عنوان آخر متحلل غير العنوان المقنن لإحدى دور النشر خالية من اسم كاتب هذه السطور بدهوى السهو والخطأ وقد تم رفع دهوى قضائية منى ضد السارق وقدمت ضده شكوى لرئيس جامعة القاهرة . ولا تزال القضية متداولة أمام المحاكم المصرية والتحقيقات جارية فى جامعة القاهرة .

٣- على مستوى مكنتبات الأطفال فقد أصدرت فى العام الماضى قائمة بعنوان «رؤوس الموضوعات لأدب ومكنتبات الأطفال» فى حدود ألف وخمسمائة رأس موضوع باللغة العربية ومثلها باللغة الإنجليزية لتغطية احتياجات مكنتبات الأطفال الصغيرة .

وقد حاولت أن تكون هذه القوائم شاملة (أو أقرب إلى الشمول) لتلبية احتياجات كل نوع من أنواع المكنتبات المستهدفة فى حدود القواعد الأساسية لبناء رؤوس موضوعات مقننة، وبذلت فى ذلك الجهود الآتية :

١- حاولت المحافظة على حداثة هذه القوائم بإضافة بعض رؤوس موضوعات جديدة تساير التطور العلمى الهائل فى مجال العلوم والتكنولوجيا وتغضى الأحداث والمستجدات السياسية .

٢- توخيت بقدر الاستطاعة توحيد وتقنين رؤوس الموضوعات وصياغتها طبقاً للأسس العلمىة المعروفة مع مراعاة الخصائص العامة للغة العربية .

٣- قمت بمراجعة وتعديل بعض رؤوس الموضوعات وتنقيتها واستبعاد بعضها وخاصة بعد تجريب القوائم فى عدة مكنتبات فى مصر وبعض الدول العربية .

٤- أضفت إلى القوائم بعض الحواشى الحدىة والتفسيرية لزيادة الفائدة من الرؤوس الموجودة وتسهيل استخدام القوائم بشكل عام .

٥- استخدمت علامات الترقيم بطريقة مقننة وبالأسلوب المستخدم فى القوائم القياسىة الأجنبيية، فضلاً عن دقة التنسيق والإخراج وتوظيف أبناط الطباعة بشكل جيد .

٦- أضفت بعض الإحالات الجديدة للقوائم وربطتها بشبكة الإحالات الموجودة فعلاً لزيادة ترابط الرؤوس بعضها ببعض .

واستكمالاً للفائدة لم أتوقف عند حدود تقديم سلسلة من قوائم رؤوس الموضوعات تصلح للاستخدام على المكنتبات المدرسىة والعامية والقومية والجامعيية السابق الإشارة إليها فى هذه المقدمة، ولكنى أصدرت كتاباً آخر بعنوان «بناء واستخدام قوائم رؤوس الموضوعات العربية والأجنبيية» يتناول الجوانب التطبيقىة لعملية بناء واستخدام رؤوس الموضوعات والتعريف بقواعد اختيارها وكيفية صياغتها وإحالاتها وتفرعاتها لأستكمل بهذا الكتاب الجوانب التطبيقىة العملية التى تغضى الفهرسة الموضوعىة التى بدأتها بكتاب «تطبيقات وتدرىيات على التصنيف العلمى» الذى صدر عن المكنتبة الأكادىمية والذى يعطى الجوانب التطبيقىة لعملية التصنيف،

وهكذا وبهذا الكتاب نستكمل الجزء الثاني للفهرسة الموضوعية وهو رؤوس الموضوعات ؛ وقد حرصت فى هذا الكتاب على تناول عملية بناء واستخدام رؤوس الموضوعات فى القوائم الأجنبية بالتفصيل جنباً إلى جنب مع بناء واستخدام رؤوس الموضوعات العربية؛ لأن جل الكتب التى تناولت هذا الموضوع كانت تتناول الجوانب العربية بتوسع بينما كانت تتناول القوائم الأجنبية باختصار وعلى استحياء كما لو أن المفهرس الموضوعى العربى لن يكون معرضاً للقيام بعمليات الفهرسة الموضوعية للكتب الأجنبية التى قد توجد فى مكتبته، مع العلم بأن المجموعات الأجنبية فى بعض المكتبات الجامعية والمكتبات المتخصصة فى عالمنا العربى قد تفوق المجموعات العربية .

الآن، وقد سرقت منى قائمة رؤوس الموضوعات الخاصة بالمكتبات القومية والجامعية وتوفر على السطو عليها من توفر، ونسبها من سرقتها لنفسه ظلماً وعدواناً على الرغم من صدور طبعتين سابقتين تحملان اسمى - دون حياء أو خوف من عقاب يوم الحساب - وعلى الرغم من اعترافه الصريح الواضح بفعلته عندما ضاق عليه الخناق فى مستند رسمى، لم يكن من المقبول أن أستسلم لثقافة استحلال الحرام وأن أوقف مكتوف اليدين أو أن أكتفى بما قد يمن علىّ به القضاء أو تحقيقات جامعة القاهرة، فقد بادرت عزيزى القارئ بإعداد هذه القائمة التى أضعها بين يديك لتكون بديلاً عن الطبعة المسروقة مع تقديم تعديلات وإضافات هائلة أضعاف الطبعة السابقة وقد أعددتها بشكل يواكب التطورات العلمية الجديدة ويغضى الإنتاج الفكرى الهائل الذى أشرنا إليه سابقاً، وفى الوقت ذاته تلبى احتياجات المكتبات العربية التى تشهد منذ فترة ليست قصيرة نهضة مكتبية كبيرة وتنامت مجموعاتها بما يقتضى ضرورة توفير أداة عربية تمكن هذه المكتبات من تنظيم هذه المجموعات وإعدادها إعداداً علمياً وفنياً يمكن المستفيدين من الاستفادة منها وترتكز فى الوقت نفسه على أسس علمية وقواعد مقننة تتفق مع أصول التحليل الموضوعى .

وفى النهاية:

هذا جهدى وعلى الله التوكل

وحسبى الله ونعم الوكيل

محمد عوض العايدى